مقالات وأبحاث
أحمد محمد شاكر
(١)

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

بقلم العلامة
أحمد محمد شاكر

قدم للكتاب وترجم لمؤلفه
عبد السلام محمد هارون

مكتبة السنة
دار ثقافية للنشر والتوزيع والبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم

عبد السلام محمد هارون

شيخ المحققين والأمين العام لمجمع اللغة العربية

إمَامُ أهْل الحَدِيث فى عَصْرِهِ

الأُستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر

١٣٠٧ – ١٣٧٧ هـ = ١٨٩٢ – ١٩٥٨ م

وليست هذه دعوى يقولها عابر سبيل ، وليست قولا يلقى على عواهنه أو مجاملةً تزجى إلى صديق يأمل فيها صديق أن يزيد فى حبل المودّة توثيقاً لصلة ، أو توكيداً لعلاقة ، بل هى مقالة صدق من شاهد عاش دهرًا طويلاً ملازماً لهذا الإمام عارفًا فضله ، دارساً حياته العلمية والعملية عن كثب ، شريكًا له فى كثير من مجالات العلم والثقافة الإسلامية والعربية أخذًا وعطاء .

كان الشيخ الإمام فى قمة عالية من تواضع العلماء ، يلتمس الحقَّ أنَّى وجد ، ويعترف لكل ذى فضل أو علم بفضله وبعلمه ، ويبتغى الشاردة من العلم فى أدنى مواقعها ، كما يتطلبها فى أعلى مجاليها

توثقت صلتى العلمية به ، وقد جمعتنا صلة القرابة الحميمة من قبل منذ كنت طالباً فى دار العلوم وكان هو فى مناصب القضاء ، وكان إذ ذاك يعجل على إخراج « كتاب الرسالة للإمام الشافعى » ، وكان كثيرا ما يظهرنى على عمله فى تحقيق هذا الكتاب الذى نهج فيه نهجًا ممتازاً لم يعهده الناس من قبل ، فى أمانة التحقيق وأمانة الأَداء ، فكان ذلك مما أدخل فى روعى أن أقتدى به اقتداءً ، وأن أراعيه فيما أستقبل من أعمال التحقيق .

ولست أنسى فضله فى عقد صلتى بأُسرة الناشرين ، إذ قدمنى إلى دار إحياء الكتب العربية لتحقيق كتاب « الحيوان للجاحظ » وإخراجه إخراجًا علمياً رضيت نفسى به ، ورضى به العلماء ، واستحق الجائزة الأُولى للنشر والتحقيق من مجمع اللغة العربية فى سنة ١٩٥٠ .

وصلة أُخرى عقدها لى مع دار المعارف إذ نشرت لى فى أوائل ما نشرت « همزيات أبى تمام » ، و « المفضليات الخمس » .

وحينما ارتأَت دار المعارف وصاحبها الأُستاذ « شفيق مترى » إخراج مجموعة « ذخائر العرب » ، وهو صاحب الفكرة فيها والساعى لإنفاذها وإظهارها إلى حيز الوجود ، قدّمنى إليها لتكون أولى هذه الذخائر هى كتابى الذى حققته ، وهو « مجالس ثعلب » الذى ظهر فى مجلدين كبيرين وحاز جائزة المجمع كذلك مع قرينه « كتاب الحيوان » .

وأشركنى معه من بعد فى تحقيق كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت كلمة كلمة وحرفاً حرفاً .

وأمر آخر يسعدنى أن أتحدث فيه وأعترف بفضله فيه ، وهو مشاركتى له فى إخراج « المفضليات » ، و « الأصمعيات » ، وهما الكتابان اللذان يحتلان مكاناً مرموقاً فى الدراسات الأدبية المعاصرة للتراث . وقد كانت المشاركة فى هذين الكتابين مشاركة صادقة بكل ما تعنى كلمة المشاركة ، وهذه أمانة أذكرها للحّق وللتاريخ .

أما فضله العام فى دنيا التأليف والتحقيق فقد يكفى أن نذكر جهوده فى إخراج رسالة الشافعى وإتقان فهارسها والإبداع فيها .

وكذلك المسند العظيم « مسند أحمد بن حنبل » الذى بذل فى إحيائه أقصى ما يستطيع عالم من جهد فى الضبط والتحقيق والتعليق والتنظيم ، وعاجلته المنية دون أن يتمكن من تمام إخراجه ، ولم يستطع أحد أن يحل محله لإكمال إخراجه على النمط الذى ارتضاه إلى يومنا هذا . وكان قد أعد العدة الكاملة فى استخراج فهارسه التى كانت لو قدّر لها أن تخرج للناس ، من أجدى الأُمور العلمية وأعظمها نفعاً إذا ضمت إلى فهارس المستشرق « فنسنك » التى إنما مدارها على الألفاظ فقط ، على حين كان المقدر لفهارس المسند ، وهو من أعظم المسانيد حجماً ، أن يكون الدار فيها على مسارب شتى من المعانى التفصيلية التحليلية الدقيقة .

ولا ينسى الأُدباء والمؤرخون للأَدب العربى جهده الممتاز فى إخراج كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، و « لباب الآداب » لأُسامة ابن منقذ ، كما لا ينسى اللغويون جهده الوثيق فى إحياء « المعرّب » لابن الجواليقى .

أما أهل الحديث فمع اعترافهم بإمامته فى عصره من الهند شرقاً إلى المغرب غرباً نجد أنه منحهم من جهوده بعد أن قدم خمسة عشر سِفرًا من صحيح الإمام أحمد بن حنبل ، عملا رائعاً آخر هو الجزء الأَول من مسند ابن حِبّان ، وجزأين من الجامع الصحيح للترمذى ، ومشاركة مع العالم الجليل الشيخ حامد الفقى فى إخراج تهذيب سنن أبى داود .

ومن أظهر أعماله وأنفعها فى هذا المجال شرحه المستفيض لكتاب الحافظ ابن كثير : « اختصار علوم الحديث » فى مجلد كبير عظيم النفع لعلماء الحديث وطلابه ، جلَّى فيه الكثير من الغوامض ، وأزال فيه كثيرًا من الشبهات .

ونجد له فى مجال التفسير « عمدة التفسير » تهذيبًا لتفسير ابن كثير ، وقد أتم منه خمسة أجزاء .

وفى مجال الفقه وأُصوله : « الإحكام » لابن حزم ، وجزأين من « المحلى » لابن حزم أيضاً ، و « العمدة فى الأَحكام » للحافظ عبد الغنى المقدسى وغير هذا وهذا كثير .

ولا غرو فى هذا الفضل الشامل الذى اقتبس كثيراً منه من والده وشيخه العلّامة الإمام محمد شاكر (١٢٨٢ ـ ١٣٥٨) ـ رحمه الله ـ الذى كان يحتفظ بإجازة حديثية منه .

هذا هو العالم المحدث المفسر الفقيه اللغوى الأديب الكاتب : أحمد محمد شاكر ، وهى صورة موجزة كل الإيجاز ، لكنها تنمّ عما وراءها من فضل كبير .

وأما بعد : فإن نشر هذه المقالات النفيسة التى ظهر بعضها للمرة الأُولى فى مجلة « الهدى النبوى » بدءاً من المجلد الخامس عشر حينما كان الشيخ رئيساً لتحريرها وذلك تحت عنوان « « كلمة الحق » مع إضافة غيرها من المقالات ، يعدّ نشراً لجانب من حياته العلمية التى كان يبتغى بها الإرشاد والنقد ، والإصلاح لبعض ما كان يظهر فى آفاق العالم العربى والإسلامى ، من انحراف دينى ، أو خلقى ، أو أخطاء علمية دقيقة .

ونجد فى هذا المجلد النفيس الذى أُريد به إحياء ذكرى الشيخ ، ما يُعد نموذجا لأَمانة الأَداء فى إعلاء « كلمة الحق » ، وقد صدّرت هذه المجموعة بمقال علمى نفيس عنوانه « جرأة عجيبة على تكذيب القرآن » موجّه إلى المؤرخ الأَثرى : سليم حسن ، ردًّا ونقدًا لما كتبه فى شأن موسى عليه السلام وفرعون ملك مصر . وفيها كغيرها تظهر قوة النقد والتصحيح .

كما نجد بحثاً فقهياً طريفاً فى أمر « ولاية المرأة للقضاء » ، ودعوة كريمة لتمكين الطلاب المسلمين فى المدارس الأجنبية التى تستمر الدراسة فيها فى أيام الجمع ، أن يُمنحوا من الوقت ، ما ييسر لهم أداء صلاة الجمعة فى وقتها .

وبحثا إنسانيا اجتماعيا فى « حق الخادم على سيده » انتصر فيها لهذه الطائفة التى يهدر بعض أهل الجهل حقوقها .

وبحثاً علمياً دقيقاً آخر فى تحقيق سِنّ أم المؤمنين عائشة « رضى الله عنها » ، وآخر فى أن آزر هو والد إبراهيم عليه السلام ، وهو تحقيق طريف .

وهذه كلها نماذج تعرض أقل القليل مما جاد به قلمه فى مختلف شئون الإرشاد والفتوى .

إنه تعريف ووفاء للشيخ الإمام : « أحمد محمد شاكر » الذى يعسر التعريف بفضله كل العسر ، ويقصر الصنع عن الوفاء له كل الوفاء ، رحمه الله وجزاه عن جهاده وصادق إيمانه خير الجزاء .

القاهرة فى ١٣/٥/١٤٠٧ هـ

١٣/١/١٩٨٧ م

عبد السلام محمد هارون

اصدع بما تؤمر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

بقلم العلامة

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي . وعضو المحكمة الشرعية العليا

١٣٠٩ - ١٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أَقَلَّ ما قلنا (كلمةَ الحق) فى مواقف الرجال . وما أكثر ما قصّرنا فى ذلك ، إن لم يكن خوفًا فضعفًا ، ونستغفر الله ، وأرى أنْ قد آنَ الأوانُ لنقولَها ما استطعنا ، كفّارةً عما سَلَفَ من تقصير ، وعما أَسْلَفْتُ من ذنوب ، ليس لها إلّا عفوُ الله ورحمتُه . والعمرُ يجرى بنا سريعًا ، والحياةُ توشك أن تبلغ منتهاها .

وأرى أنْ قد آنَ الأوانُ لنقولها ما استطعنا ، وبلادُنا ، بلادُ الإسلام ، تنحدر فى مجرى السَّيْل ، إلى هُوَّةٍ لا قَرار لها ، هُوَّةِ الإلحاد والإباحية والانحلال . فإن لم نَقِفْ منهم موقف النذير ، وإن لم نأخذ بحُجَزِهم عن النار ، انحدرنا معهم ، وأصابنا من عَقَابيل ذلك ما يصيبُهم ، وكان علينا من الإثم أضعافُ ما حُمِّلوا .

ذلك بأن الله أخذ علينا الميثاقَ : ﴿ لتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكتُمُونَهُ ﴾(١) وذلك بأن الله ضرب لنا المثل بأشقى الأمم : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بنِي إسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ، ذَٰلِكَ بِما عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن منْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعلُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٧ .

(٢) سورة المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

وذلك بأن الله وصفنا - معشرَ المسلمين - بأننا خيرُ الأُمم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾(١) . فإن فقدنا ما جَعَلنا اللهُ به خيرَ الأُمم ، كنَّا كمَثَل أشقاها ، وليس من منزلةٍ هناك بينهما .

وذلك بأن الله يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللهِ وَيَخْشَوْنَهُ ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ ﴾(٢) .

وذلك بأن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا لايمنعنَّ أحدَكم رهبةُ الناسِ أن يقول بحقٍّ إذا رآه أو شَهِدَهُ ، فإنه لا يُقرِّبُ مِنْ أَجَلٍ ، ولا يُباعِدُ من رِزْقٍ ، أَنْ يقولَ بحقٍّ ، أو يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ »(٣) .

وذلك بأن رسول الله ﷺ قال : « لا يَحْقِرَنَّ أحدُكم نفسَه ، قالوا : يا رسولَ الله ، كيف يحقر أحدُنا نفسَه ؟ قال : يَرَى أمرًا لِلهِ عليه فيه مقالٌ ، ثم لا يقولُ فيه ، فيقول اللهُ - عزَّ وجَلَّ - له يومَ القيامة : ما مَنَعَكَ أن تقولَ فِيَّ كذا وكذا ؟ فيقولُ : خَشْيَةُ النَّاسِ ، فيقُولُ : فَإِيَّايَ كنتَ أحقَّ أن تَخْشَى »(٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٩ .
(٣) رواه أحمد فى المسند ١١٤٩٤ بإسناد صحيح .
(٤) رواه ابن ماجة ٢ : ٢٥٢ بإسناد صحيح .

نريد أن نقول (كلمة الحق) فى شؤون المسلمين كلها . نريد أن ننافح عن الإسلام ما استطعنا ، بالقول الفصل ، والكلمة الصريحة ، لا نخشى فيما نقول أحدًا إلَّا الله . إذْ نقول ما نقول فى حدود ما أذن الله لنا به ، بل ما أوجب علينا أن نقوله ، بهَدْىِ كتاب ربنا وسنة رسوله .

نريد أن نحارب الوثنية الحديثة والشِّرك الحديث ، اللذين شاعا فى بلادنا وفى أكثر بلاد الإسلام ، تقليداً لأُوربة الوثنية الملحدة ، كما حارب سلفُنا الصالحُ الوثنيةَ القديمة والشرك القديم .

نريد أن ننافح عن القرآن ، وقد اعتاد ناس أن يلعبوا بكتاب الله بين أظهرنا ، فمن متأولٍ لآياته غيرِ مؤمن به ، يريد أن يَقْسِرَها على غير ما يدل عليه صريح اللفظ فى كلام العرب ، حتى يوافق ما آمن به ، أو ما أُشربَتْه نفسه ، من عقائد أوربة ووثنيتها وإلحادها ، أو يُقَرِّبَهُ إلى عاداتهم وآدابهم - إن كانت لهم آداب - ليجعل الإسلام ديناً عصريًّا فى نظره ونظر ساداته الذين ارتضعَ لِبَانَهم ، أَوْ رُبِّىَ فى أحضانهم !!

ومن منكر لكل شىء من عالم الغيْب ، فلا يفتأُ يحاور ويداور ، ليجعل عالم الغيب كله موافقاً لظواهر ما رأى من سنن الكون ، إن كان يَرَىٰ ، أو على الأصح لما فهم أن أُوربة ترى !! نعم ، لا بأس

عليه ـ عنده ـ أن يؤمن بشيء مما وراء المادة ، إن أثبته السادة الأُوربيون ، ولو كان من خرافات استحضار الأَرواح !! .

ومن جاهل لا يفقه فى الإسلام شيئًا ، ثم لا يستحى أن يتلاعب بقراءات القرآن وألفاظه المعجزة السامية ، فيكذِّب كلَّ الأَئمة والحفاظ فيما حفظوا ورووا . تقليدًا لعصبية الإفرنج التى يريدون بها أن يهدموا هذا الكتاب الذى لا يأْتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليجعلوه مثل ما لديهم من كتب .

وهكذا مما نَرى وتَرَوْن .

نريد أن نحفظ أعراض المسلمين . وأن نحارب ما أحدث (النسوان) وأنصارُ (النسوان) من منكرات الإباحية والمجون والفجور والدعارة ، هؤلاء (النسوان) اللائى ليس لهنَّ رجال ، إلَّا رجالاً (يُشْبِهْنَ) الرجال !! هذه الحركة النسائية الماجنة ، التى يتزعمها المجددون وأشباه المجددين ، والمخنثون من الرجال ، والمترجلات من النساء ، التى يهدمون بها كل خلق كريم ، يتسابق أُولئك وهؤلاء إلى الشهوات ، وإلى الشهوات فقط .

نريد أن ندعو الصالحين من المؤمنين ، والصالحات من المؤمنات : الذين بقى فى نفوسهم الحِفاظُ والغيرة ومقوّماتُ الرجولة ، واللائى بقى فى نفوسهنَّ الحياء والعفة والتصوُّن ـ إلى العمل الجدِّىّ الحازم

على إرجاع المرأة المسلمة إلى خدرها الإسلامى المصون ، إلى حجابها الذى أمر الله به ورسوله ، طوعاً أو كَرهاً .

نريد أن نثابر على ما دَعَوْنَا وندعو إليه من العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله فى قضائنا كله ، فى كل بلاد الإسلام ، وهدم الطاغوت الإفرنجىّ الذى ضُرب على المسلمين فى عقر دارهم فى صورة قوانين ، والله تعالى يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا . وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ ٱللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾(١) . ثم يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

نريد أن نتحدث فى السياسة ، السياسة العليا للأُمم الإسلامية ، التى تجعلهم (أُمةً واحدة) ، كما وصفهم الله فى كتابه ، نسمو بها على بدعة القوميات ، وعلى أهواء الأحزاب . نريد أن نُبَصِّر المسلمين وزعماءهم بموقعهم من هذه الدنيا بين الأُمم ، وتكالب الأُمم عليهم بغياً وعدواً ، وعصبية وكراهية الإسلام أولاً وقبل كل شىء .

---

(١) الآيتان ٦٠ ، ٦١ من سورة النساء .
(٢) الآية ٦٥ من سورة النساء .

نريد أن نعمل على تحرير عقول المسلمين وقلوبهم من روح التهتك والإباحية ، ومن روح التمرد والإلحاد ، وأن نريهم أثر ذلك فى أوربة وأمريكا ، اللتين يقلدانهما تقليد القردة ، وأن نريهم أثر ذلك فى أنفسهم وأخلاقهم ودينهم .

نريد أن نحارب النفاق والمجاملات الكاذبة ، التى اصطنعها كتّاب هذا العصر أو أكثرهم فيما يكتبون وينصحون ! يظنون أنَّ هذا من حسن السياسة ، ومن الدعوة إلى الحق ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ اللتين أمر الله بهما ! وما كان هذا منهما قط ، وإنما هو الضعف والاستخذاء والملق والحرص على عرض الحياة الدنيا .

وما نريد بهذا أن نكون سفهاء أو شتّامين أو منفِّرين . معاذ الله ، و « لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ ، وَلَا الفَاحِشِ وَلا البَذِيءِ » كما قال رسول الله ﷺ (١) . ولكنا نريد أن نقول الحق واضحًا غير ملتوٍ ، وأن نصف الأشياء بأوصافها الصحيحة ، بأحسن عبارة نستطيعها . ولكنَّا نربأ بأنفسنا وبإخواننا، أن نصِفَ رجلاً يعلن عداءه للإسلام ، أو يرفض شريعة الله ورسوله – مثلاً – بأنه « صديقنا » ، والله سبحانه نهانا عن ذلك نهياً حازماً فى كتابه .

---

(١) رواه الترمذى (٣ : ١٣٨ من شرح المباركفورى) وأحمد فى المسند ٣٨٣٩ ، ٣٩٤٨ .

ونربأ بأنفسنا أن نضعف ونستحذىَ ، فنصفَ أمةً من الأمم تضرب المسلمين بالحديد والنار ، وتهتك أعراضهم وتنتهب أموالهم ، بأنها أمة « صديقة » أو بأنها أمة « الحرية والنور » ، إذا كان من فعلها مع إخواننا أنها أمة « الاستعباد والنار » ! وأمثال ذلك مما يرى القارىء ويسمع كل يوم ، من علمائنا – نعم من علمائنا – ومن كبرائنا وزعمائنا ووزرائنا ! والله المستعان .

نريد أن نمهد للمسلمين سبيل العزة التى جعلها الله لهم ومن حقهم إذا اتصفوا بما وصفهم به : أن يكونوا « مؤمنين » . نريد أن نوقظهم وندعوهم إلى دينهم بهذا الصوت الضعيف ، صوت مجلتنا (١) هذه المتواضعة . ولكننا نرجو أن يدوّىَ هذا الصوت الضعيف يوماً ما ، فيملأ العالم الإسلامىّ ، ويبلغ أطراف الأرض ، بما اعتزمنا من نية صادقة ، نرجو أن تكون خالصةً لله وحده ، جهادا فى سبيل الله . إن شاء الله .

---

(١) نشرت هذة المقالات للمرة الأولى، فى مجلة الهدى النبوى : المجلد الخامس عشر والسادس عشر فى وقت أن كان العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رئيسا لتحريرها وكانت تنشر تحت عنوان « كلمة الحق » . [الناشر]

فإن عجزنا أو ذهبنا ، فلن يعدم الإسلام رجلاً أو رجالاً خيرًا منَّا ، يرفعون هذا اللواء ، فلا يزال خفاقاً إلى السماء ، بإذن الله ..

أحمد محمد شاكر

(١)

جُرْأَةٌ عَجِيبَةٌ عَلى تَكذِيبِ الْقُرْآن

وددتُ لو استطعتُ وصف ما صنع الأُستاذ سليم بك حسن بغير هذا العنوان القاسى . ولكنَّ ما صنع كان أَشدَّ تهافتاً وأَسوأَ وقعاً مما يدل عليه العنوان :

فإنه أَخرج فى هذا العام الجزءَ السابع من كتابه (مصر القديمة) ، ولستُ الآن بصدد نقد كتابه هذا ، وكشفما ينطوى عليه من الإشادة بوثنية قدماء المصريين ، ومن تقديس الأَحجار والأَوثان ، ولو بالقول دون العقيدة ، بل من وصف أَحد الفراعين الوثنيين بصفة النبوة (ص ٥٩٠ من هذا الجزء) . ولكنه عرض فى هذا الجزء (قصةَ خروج بنى إسرائيل من مصر) عرضاً جريئاً ، فوق حدود العجب ، وفوق حدود الجرأة (ص ١٠٦ ـ ١٣٨) . كذَّب فيه التوراة تكذيباً صريحاً تارة ، وتكذيباً ملتوياً تارة ، وكذب فيه القرآن تكذيب (العلماء الأَفذاذ فى هذا العصر !) ، الذين يتأَولون القرآن تأَولاً لا يَمُتُّ إلى لفظه ولا إلى معناه بسبب ، يخرج به على كل دلالة ، وعلى كل عقل ، إلا عقولهم الجبارة المتوفزة للهدم ! وكان فى عمله هذا مقلداً ، لم يتقنِ الصنعةَ كما أَتقنوا . وكذَّبه تكذيباً آخر غير مباشر ، بتقرير (حقائق !) تُنافى ما أَثبت القرآنُ وتناقضه ، يقررها بعظمة

العالم المتثبت ! الذى لا يثبت صحة خبر فى القرآن إلا أن تؤيده الأحجار (المقدسة) التى كتبها وثنيون مجهولون ، من عباد الفراعين ، وعبّاد العجول ، وعبّاد الأوثان .

ومن قرأ هذا الفصل الذى كتبه هذا (العالم المتثبت) عن قصة بنى إسرائيل وخروجهم من مصر (ص ١٠٦-١٣٨) لا يخالجه شك فى أن الأُستاذ رضى على مضض أن يسلم بوجود شىء فى مصر فى عهد الفراعين اسمه « بنو إسرائيل » ، وبخروجهم من مصر بقيادة رجل منهم اسمه « موسى » ، وأن ما عدا ذلك من التفاصيل إن هو إلا أساطير وأكاذيب إلى أن تظهر أدلة أُخرى تثبت شيئًا منها .

إن شئتم فاقرؤوا قوله (ص ١١٤) :

« ولكن ليس لدينا أىّ أثر يبرهن على وجود احتلال جدّى لأىّ صقع مصرى تكون من نتائجه حدوث مأساة كالتى مثلت فى كتاب الخروج ، وإلى أن يظهر فى الأُفق براهين تختلف فى شكلها عن التى فى متناولنا الآن ، فإنى أومن بأن تفاصيل القصة يجب أن تُعد أُسطورةً ، مثلها كمثل قصة بدء الخليقة المذكورة فى سفر التكوين . وعلينا أن نسعى فى تفسير هذه التفاسير [كذا ، وصحتها التفاصيل] على فرض أنها أُسطورة » ! !

وما أظن أحداً يشك بعد هذا فى أن الأُستاذ المؤلف ينكر كل التفاصيل التى فى قصة خروج بنى إسرائيل . والبقية تأتى ! !

إن المؤلف – فيما أرى – يستغل الروح الوطنى القومى الذى تغلغل فى مصر للإشادة بقدماء المصريين وفراعينهم وأوثانهم ، على النحو الذى نراه فى الصحف والمجلات والمؤلفات ، تقليداً لأُوربة من جهة ، ونتيجةً لما رسمتْ أُوربةُ ومبشروها ومستعمروها من محاولة هدم الإسلام فى بلاده ، بتربية الأُمة تربيةً تستبطن الإلحاد مع مظهر التدين ، أو تعلن الإلحاد ما وجدت الفرصةَ لذلك .

وأكبر ظنى أن المؤلف لم يقرأ قصة بنى إسرائيل فى القرآن قط ، أو هو على الأقل لم يتأملها تأمل المؤمن المستيقن بصدق هذا القرآن ، وبأنه وحى من الله لرسوله لفظًا ومعنى ، وبأنه أصدق مصدر تاريخى ، لأنه ليس من علم البشر ، بل هو من قول خالق الكون ، الذى يعلم ما تقدم وما تأخر ، وبأنه الكتاب المهيمن على ما سبقه من كتب الأنبياء ، وبأنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يعقد مقارنة بينه وبين الكتب السابقة ، فضلاً عن أن يعقد مقارنة بينه وبين نقوش على أحجار ، أو كتابة فى أوراق ، كتبها وثنيون مجهولون ، مداحون متملقون ، يمدحون ملوكهم بالحق تارةً ، وبالباطل تارات . إلى أن

هذه النقوش والكتابات لم يتبين إلى الآن معناها على سبيل القطع واليقين ، بل هو الظن والاجتهاد ، بما بلغت إليه أسباب دارسيها .

أنا لا أُدافع عن التوراة الموجودة الآن بين يدى اليهود ، ولا عن نسختها الأُخرى التى بين يدى النصارى باسم « العهد القديم » ، فإنى أعرف أنها لم تصل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بطريق يقينى أنها هى « التوراة » التى أنزل الله على نبيه موسى عليه السلام . بل أكاد أجزم أنها تاريخ كتب بعد موسى بدهر طويل ، فيها شىء من التوراة الصحيحة ، وفيها تزيد كثير ، لم يعرفه موسى ولا هرون . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لم يثبت من أخبارهم وأحكامهم فى القرآن ، ولم نجد فى كتاب الله ما ينفيه ، أن نقف منهم موقف الحياد ، فلا نصدقهم ولا نكذبهم ، ونقول : ﴿ آمَنَّا بِالذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ولا أرى لمسلم أن يستغل عداء اليهود للمسلمين منذ قديم الزمان ، وعدوانهم علينا فى عصرنا هذا ، فيكذب أخبار الله عنهم فى القرآن ، ويطعن فى الأنبياء السابقين ، كما يفعل بعض الناس فى هذه الأيام .

والأُستاذ سليم بك حسن يكاد يفعل هذا أو يقاربه ، فيقول فى

---

(١) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت .